**الأستاذ : د. وزار محمد ليسنس السنة الثانية**

**شعبة الفلسفة مقياس الفلسفة الإسلامية**

**كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية المحاضرة السادسة**

**مشكلة قدم وحدوث العالم في الفلسفة الإسلامية**

**تمهيد :**

إن مشكلة قدم و حدوث العالم من أهم المشكلات التي واجهت الفكر الإسلامي منذ تأسيسه بل هي الحد الفاصل بين الإيمان و الكفر و هي على رأس الخلاف بين الفلاسفة و المتكلمين فقد كفَّر الغزالي فلاسفة الإسلام المشائين في ثلاثة مسائل رئيسية و على رأس هذه المسائل مسألة قدم العالم في كتابه تهافت الفلاسفة، كما اعتبرها الإمام الباقلاني الإيمان بحدوث العالم واجباً دينياً و شرعياً، كما اعتبرها الإمام ابن تيمية هذه المسألة الأخيرة فيصل التفرقة بين الإيمان و الكفر و على أساسها تم تحريم الاشتغال و النظر في كتب القدماء. و قد استقر الرأي لدى فلاسفة اليونان و تابعهم في ذلك معظم فلاسفة الإسلام كالفارابي و ابن سينا و ابن رُشد ما عدا فيلسوف الإسلام الكندي الذي تابع رأي المتكلمين.

**مشكلة قدم و حدوث العالم عند فلاسفة اليونان :**

اتفق فلاسفة اليونان في مجملهم على القول بقدم العالم و أنه لم يزل موجوداً مع الله و معلولاً له، و مساوقاً له غير متأخر عنه بالزمن مساوقة المعلول للعلة و تقدم الله عليه كتقدم العلة على المعلول و هو تقدم بالذات و المرتبة لا بالزمن على ما ذكر الغزالي.[[1]](#footnote-2)

ما موقف فلاسفة الإسلام من مشكلة قدم و حدوث العالم ؟

تابع فلاسفة الإسلام موقف العقلانية المشائية بالقول بقدم العالم و من ثم قدم المادة و الحركة و زمان العالم غير أنهم حاولوا أن يجدوا جسر للعبور بين القول بقدم العالم و بين القول بحدوثه، لذا مزجوا المشائية بالأفلاطونية المحدثة فتبنى كلٌ من الفارابي و ابن سينا نظرية الصدور أو الفيض.

**نظرية الفارابي و إشكالية صدور العالم أو الكثرة عن الواحد :**

واجب الوجود عقلٌ محض في تعقله لذاته قوة الإبداع و الفيض فينبثقُ عنه كائن بسيط إنه العقل الأول فما يصدر عن واجب الوجود «الله» كائنٌ واحدٌ فقط هو هذا العقل لأنه لا يصدر عن الواحد إلا واحداً هذا المبدأ هو للحفاظ على وحدة الله و وحدانيته و أنه لا تصدر عنه الكثرة مباشرة و إلا كان محل للكثرة و هذا يخالف طبيعة ذاته بأنه وحدة أو واحد من كل الوجوه بصفة مطلقة.

هذا الموجود الأول هو عقل لذلك هو مصدر للفيض غير أنه يختلف عن الله فهو يتعقل ذاته كما يتعقل الأول أي موجده «الله» لذا فتعقله يتسم بالازدواجية و من هنا تنشئ الكثرة. فبتعقله لذاته كممكن للوجود تنشأ عنه كرة السماء الأولى و بتعقله لواجب الوجود يصدر عنه عقل ثاني و هذا العقل الثاني بتعقله لواجب الوجود ينبثق عنه عقلٌ ثالث و بتعقله بذاته الممكنة تصدر عنه كرة الكواكب الثابتة و على هذا النمط تتوالى عملية الصدور فكلما تعقل العقل بالواجب يصدر عنه عقلٌ جديد و كلما فكر بأنه ممكن بذاته صدر جسمٌ سماوي و آخر، و الفارابي يُحدد عشرة عقول أثناء الصدور آخرهم العقل الفعال المدبر لفلك القمر و من هذا الأخير فاض عنه عالم الكون و الفساد فتنبثق من صورته طبيعة النفوس و تنبثق الهيولة و هي من طبيعة الأجساد و اتحاد الصورة و الهيولة تنشأ العناصر الأربعة التي بامتزاجها يتكون عالم الكون و الفساد. أعلى مرتبة في هذا العالم هو الإنسان ثم يليه الحيوان، فالنبات، و الجماد هو أدنى مرتبة.[[2]](#footnote-3)

من خلال تتبع نظرية الفيض الفارابية نستشف موقف الفارابي من مشكلة قدم و حدوث العالم فأصالة موقفه هو القول بقدم العالم و أن العالم مازال موجوداً مع الله و معلولاً له غير متأخر عنه بالزمن، إنه ارتباط العلة بالمعلول و لا ينفك وجود المعلول عن وجود العلة. إن تقدم الله عن العالم هو تقدم بالذات و الرتبة و الشرف و ليس تقدماً بالزمان إنه حدوثٌ بالذات لا بالزمان و القول هنا بالحدوث بالذات هو فقط محاولة تقريب الفلسفة من الدين.

**مشكل قدم و حدوث العالم في فلسفة ابن سينا**

حاول ابن سينا التوفيق بين الحكمة و الشريعة فحاول إيجاد التوافق بين القول بقدم العالم كما عند الفلاسفة و القول بحدوثه كما عند المتكلمين، لذا ابتكر نظرية الإبداع ليُفسر به الفعل الإلهي. يقول ابن سينا: «يكون من شيء وجودٌ لغيره متعلقاً به فقط دون توسط من مادة أو آلة أو زمن. و ما يتقدمه عدم زماني لم يستغني عن متوسط. و إبداع أعلى مرتبة من التكوين الإحداث.»[[3]](#footnote-4)

من قول ابن سينا يتضح أن الله يتقدم عن العالم ليس تقدم زمني، لكنه تقدم بالرتبة و الشرف و العلية لا بالزمان، فالعالم لا يتأخر عن الله بالزمان لأنه لو وجد الله ثم وجد العالم لكان بين الوجوديين فيه عدم و لا تسألن عن السبب المرجح لشروع في الخلق.[[4]](#footnote-5) فالعالم علاقته بالله هي علاقة المعلول بالعلة و هذه العلة علة تامة متى وجدت العلة وجد المعلول عنها بالضرورة لأنه لو تصورنا فرضاً وجود العلة التامة بدون موجود معلولها لفقدت هذه الأخيرة من هذا الوجه يماميتها و من ثم لا تكون علة تامة فهي معطلة من هذه الجهة لذلك يقول : « إدا جاز أن يكون الشيء متشابه الحال في كل شيء و له معلول لم يبتعد أن يجب عنه سرمدا.»[[5]](#footnote-6)

إن حدوث و الإيجاد في لغة ابن سينا ليس هو الحدوث و الإيجاد في لغة المتكلمين فالوجود دائماً هو وجود شيء عن شيء إلى ما لا نهاية فالفيض الإلهي أزلي. لذا العالم هو ملازم لله أزلاً و أبداً وعندما يقول أن العالم حادث بالذات لا بالزمان إنما يقصد به أن الله يسبق العالم بالعلة و المرتبة و الشرف لا بالزمان فليس هناك معنى للخلق الذي يسبقه العدم. إن صدور العالم عن الله هو صدور بالاضطرار و الملازمة و ليس صدور اختيار و إرادة.

إن ابن سينا لجأ لنظرية الصدور لحل إشكالية صدور الكثرة بالواحد و التوفيق بين الشريعة و الحكمة، فالواحد لا يصدر عنه إلا واحداً فلا يمكن تصور صدور الكثرة الحادثة عنه مباشرة. إن بساطة الله يلزم عنها صدور واحد بسيط مثله و بما أنه عقلٌ محض خالص فلا بد أن يكون ما يصدر عنه عقلاً مثله أي لا يشوبه الهيولى بوجه من الوجوه. و لما كان التعقل الأول ضرورياً فهو علة الوجود، لذا صدور المعلول الأول أي العقل الأول ضرورياً عن الواحد هذا الأخير هو مصدر الكثرة و ظهور التعدد ذلك أنه يتعقل الله فيتولد عنه عقلٌ ثاني و من تعقله لذاته الذي يأخذ صورتين واجبٌ بغيره و ممكن بذاته فمن تعقله أنه واجبٌ بغيره تفيض صورة الفلك المحيط و من تعقله أنه ممكنٌ بذاته يفيضُ جرمٌ سماوي و جسم هذا الفلك.

إن ابن سينا يضع العقل فوق النفس أما الجسم فدونها فهو يضع أمام كل ضرب من التعقل مرتبة من مراتب الفيض فبالتفكير بواجب الوجود أي الله ينشأ العقل و من تعقل العقل السابق تفيض عنه النفس و من تعقل في ذاته كممكن يتولد الجسم، إذا فعل التعقل من العقل الأول نزولاً إلى العقول الأخرى المفارقة يأخذ منحى ثلاثياً أو فيضاً ثُلاثي الاتجاه أي عقل و نفس و جسم حتى يتوقف عند العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال المدبر لفلك القمر و الذي تحركه النفس و بين العقل الأول و العاشر توجد كرة الكواكب الثابتة، زحل، فالمشتري، فالمريخ، فالشمس، فالزهري، فعطارد، فالقمر.

**نظام ابن سينا الكوني**

الواحد المطلق ق

الهــــــواء

الماء

الصورة

التـــراب

النار

الهيولي

كرة القمر

نفس القمر

العقل العاشر الفعال

كرة عطارد

نفس عطارد

العقل التاسع

كرة الزهرة

نفس الزهرة

العقل الثامن

كرة الشمس

نفس الشمس

العقل السابع

كرة المريخ

نفس المريخ

العقل السادس

العقل الخامس

كرة المشتري

نفس المشتري

كرة زحل

نفس زحل

العقل الرابع

نفس الثوابت

جرم الثوابت

العقل الثالث

نفس السماء الأولى

نفس السماء الأولى

العقل الثاني

العقل الأول

**عـــــــــــــــــــــــــــــــــالــــم الطبــــــــــــــــــــــــــــــــــــــيعة**

1. - الغزالي، تهافت الفلاسفة، جزء الرابع، ط.القاهرة 1970 ص.4. [↑](#footnote-ref-2)
2. - دي بور : تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص.163. [↑](#footnote-ref-3)
3. - ابن سينا : إشارات و التنبيهات، ج.3 ص.524. تحقيق د. سليمان دينا، ط. القاهرة 1958. [↑](#footnote-ref-4)
4. - نفس المصدر، ص.525. [↑](#footnote-ref-5)
5. - ابن سينا، كتاب النجاة، ص.213. [↑](#footnote-ref-6)